الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبو بكر بلقايد
UNIVERSITÉ DE TLEMCEN

كلية الآداب و الفنون
قسم اللغة والأدب العربي

مقياس : نظرية الرواية
ليسانس السداسي السادس
تخصص: دراسات نقدية
إعداد : أ.د محمد ملياني
العام الجامعي 2026/2025

محاضرات في نظرية الرواية

المحاضرة 14: الرواية الوجودية

الرواية الوجودية:

شهد القرن العشرون تحولات فكرية عميقة انعكست بشكل مباشر على الإبداع الأدبي، فظهرت الرواية الوجودية بوصفها شكلاً فنياً يتجاوز السرد التقليدي ليغدو مختبراً فلسفياً لطرح أسئلة الإنسان الكبرى. لم تعد الرواية مجرد حكاية أحداث وشخصيات، بل أصبحت فضاءً للتأمل في قضايا الحرية، القلق، العبث، والبحث عن المعنى. ومن هذا المنطلق، تسعى هذه الدراسة إلى تحليل البنية الفكرية والجمالية للرواية الوجودية، مع إبراز ملامح البطل الوجودي، وتحديد موقع هذا التيار بين الفلسفة والأدب، وصولاً إلى قراءة نقدية لمساهمة كولن ويلسون في تطوير هذا الأفق.

أولاً: الحرية بوصفها قدرًا وجوديًا

تعد الحرية المفهوم المركزي في الرواية الوجودية، حيث لا تُطرح باعتبارها حقاً أو امتيازاً، بل كعبء وجودي لا يمكن الفرار منه. فالإنسان، وفق التصور الوجودي، كائن مُلقى في العالم دون جوهر مسبق، وهو المسؤول عن تشكيل ماهيته من خلال أفعاله واختياراته.

تنعكس هذه الفكرة سردياً في شخصيات تتحرك خارج الحتميات الاجتماعية أو الأخلاقية، وتجد نفسها مضطرة لاتخاذ قرارات دون سند مطلق. وهنا تتحول الحرية إلى مصدر قلق، إذ يصبح كل اختيار إعلاناً ضمنياً عن تصور معين للإنسان.

ثانياً: القلق كوعي بالحرية

لا يُفهم القلق في الرواية الوجودية كحالة نفسية مرضية، بل كحالة وعي عميق تنبع من إدراك الإنسان لحرّيته المطلقة. فالبطل الوجودي يعيش توتراً دائماً لأنه يدرك أن لا شيء يحدد مصيره سواه، وأنه يقف أمام إمكانيات مفتوحة دون ضمانات.

يتجسد هذا القلق في لحظات حاسمة تُعرف بـ"المواقف الحدّية"، حيث يجبر البطل على مواجهة ذاته بشكل مباشر، بعيداً عن الأقنعة الاجتماعية. وهنا يصبح القلق أداة كشف، لا ضعفاً، إذ يفضي إلى إدراك مأزق الوجود.

ثالثاً: العبث وإشكالية المعنى

ينشأ العبث من التوتر بين نزوع الإنسان إلى البحث عن معنى، وصمت العالم إزاء هذا الطلب. فالعالم، في الرواية الوجودية، لا يقدم تفسيرات جاهزة، ولا يستجيب لتطلعات الإنسان، مما يخلق حالة من اللامعقول.

غير أن العبث لا يُطرح كنهاية، بل كنقطة انطلاق لموقف وجودي جديد، يتمثل في التمرد. فالإنسان، بدلاً من الاستسلام، يختار الاستمرار في العيش وصناعة المعنى رغم غيابه الموضوعي. وهكذا يتحول العبث إلى محفز على الفعل، لا مبرر للانسحاب.

رابعاً: البطل الوجودي وأزمة الهوية

يختلف البطل الوجودي عن نظيره في الرواية التقليدية؛ فهو لا يسعى إلى تحقيق أهداف خارجية كالثروة أو الحب، بل ينخرط في صراع داخلي حول معنى وجوده.

يتسم هذا البطل بالاغتراب، حيث يشعر بانفصال عن المجتمع، وعن اللغة، وحتى عن ذاته. وغالباً ما يُوضع في ظروف قاسية (كالسجن أو العزلة أو مواجهة الموت) تكشف هشاشة القيم التي كان يعتمد عليها.

ومن الناحية السردية، يتحول هذا البطل إلى "وعي متكلم"، حيث تتراجع الأحداث لصالح المونولوج الداخلي والتأمل الفلسفي، مما يجعل الرواية أقرب إلى حوار فكري منها إلى حكاية تقليدية.

خامساً: البنية السردية للرواية الوجودية

تتميز الرواية الوجودية بتفكيكها للحبكة الكلاسيكية، إذ لا تقوم على تسلسل سببي واضح، بل على لحظات وعي متقطعة. كما يُعاد تشكيل الزمن ليصبح "لحظة حاضرة" مكثفة، تُولد فيها القرارات وتتشكل فيها الذات.

أما اللغة، فتميل إلى البساطة والتقريرية، بما يعكس جفاف العالم وحياده، ويعزز الإحساس بالاغتراب. وهكذا تتكامل العناصر السردية لتخدم الرؤية الفلسفية للنص.

سادساً: كولن ويلسون ومحاولة تجاوز العبث

يمثل كتاب "اللامنتمي" لكولن ويلسون منعطفاً مهماً في قراءة الوجودية، إذ لا يكتفي بتحليل أزمة الإنسان، بل يسعى إلى تجاوزها. فاللامنتمي، عند ويلسون، هو الفرد الذي يرفض السطحية الاجتماعية، ويسعى إلى إدراك أعمق للحقيقة.

غير أن ويلسون ينتقد النزعة التشاؤمية في الوجودية الفرنسية، معتبراً أنها توقفت عند تشخيص العبث دون تقديم مخرج. وفي المقابل، يدعو إلى ما يمكن تسميته بـ"الوجودية الإيجابية"، التي تقوم على رفع مستوى الوعي وتوسيع إمكانيات الإدراك.

وبذلك، يتحول اللامنتمي من كائن مأزوم إلى مشروع إنسان يسعى إلى تحقيق ذاته عبر التجاوز والارتقاء الروحي.

سابعاً: نقد الرواية الوجودية

لم تسلم الرواية الوجودية من النقد، خاصة من قبل الاتجاهات الواقعية والماركسية، التي رأت فيها نزعة فردية مفرطة تُهمل البعد الاجتماعي والتاريخي.

فتركيزها على القلق الذاتي قد يؤدي إلى عزل الإنسان عن سياقه الواقعي، وتحويل مشكلاته إلى قضايا مجردة. ومع ذلك، يبقى لهذا التيار أهميته في الكشف عن البعد الداخلي للإنسان، وإبراز تعقيد تجربته الوجودية.

تعد الرواية الوجودية شكلاً أدبياً فريداً يجمع بين السرد والفلسفة، ويجعل من النص فضاءً للتفكير في مصير الإنسان. فهي لا تقدم أجوبة جاهزة، بل تطرح أسئلة مفتوحة حول الحرية والمعنى والوجود.

ومن خلال تفكيكها للبنية التقليدية، وتركيزها على الوعي الفردي، استطاعت أن تعيد تعريف وظيفة الأدب، ليصبح أداة لاكتشاف الذات ومواجهة العالم .وفي هذا السياق، تظل أهميتها قائمة، ليس فقط كمرحلة أدبية، بل كتجربة إنسانية تعكس قلق العصر الحديث وسعيه الدائم نحو المعنى.